الزعامات الأدبية الحديثة

تمهيد

قبل أن أمضى فى هـذه الدراسات أحب أن ألفت نظر الذين ينادون بتفاهة الأدب العربى الحديث ويرخصون من قيمة تراجم ودراسة أدباء مصر الى أن رسالة الأدب ومقاييسه لا تعرف وطنا ، والاخلاص للثقافة لا يعرف جنسا ، كما أن العزة القومية التى نحن فى حاجة قصوى اليها تحتم علينا دراسة نوابغنا والتلويح بعبقريتهم للعالم حتى يسلم الغرب بأن فينا من يمشى جنبا إلى جنب مع أفذاذه ..

نقرأ كثيرا فى الصحف والمجلات الفصول الطويلة والصور العديدة والتراجم واللمحات عن أدباء الغرب وقلما نجد بجانب ذلك شيئا عن كتابنا . واذا طالبت كاتبا نفسه أن يستعرض حياة وأعمال أديب وطنى فلا يسلم من سخريات وعبث الذين يحبون أن نفنى أنفسنا في الأدب الغربى ورجاله ، بيد أنه من العبث أن نعثر على شىء من هذا فى صحيفة أجنبية عن كاتب مصرى .. فلماذا لا ندرس بجانب برنارد شو طه حسين ؟؟ ولماذا نقصر الحديث على طاغور دون أن نذكر العقاد ؟ لا ريب أن فوضى التقليد والجرى وراء المدنية

الغربية قد تأثر بها أدبنا كما تأثرت بها حياتنا الاجتماعية ولا شك أنها من البواعث لهذا ... وإلا هل من حب الثقافة والاخلاص للأدب أن نشيد بكتاب دون آخر ؟ وهل من الوطنية والانتصار للقومية أن نفاخر بعلماء الغرب ونشيد بذكرهم على حساب اعمال نوابغنا ؟ لماذا لانضع بجانب أعلامهم أعلامنا حتى نثبت أن فينا من يتساوى بهم وحتى نفرى النشء على قراءتهم ؟ قد يكون هذا من شعورنا بنقص فى الأدب العربى الحديث ! حسناً . واذا كان الادب الحديث فيه بعض النقص فلماذا لايكون سبيلنا للنهوض به تشجيعا لهم وأزكاء العزائم وذلك بدراسة كتابنا مع الاشارة الى الضعف والنقص أظن أننا بذلك نرضى الحق والفن كما أننا نرضي الوطن والقومية . لذلك وطدت العزم على عرض أعمال كتابنا وشرعت فى كتابة دراسات عن بعضهم جعلت هدفى فيها ذكر أهم ما كتبه الاديب وتحليل نواحى النقص والضعف في كتبه وشخصيته وآرائه واعطاء القارىء صورة واضحة المعاني كاملة الأجزاء عن الكاتب وسأبدأ بالحديث عن الكاتبين العظيمين طه حسين وعباس محمود العقاد . واذا قلنا طه والعقاد فقد قلنا الأدب العربى الحديث نثره وشعره فطه صاحب الاسلوب الرائع الذى يعتبر موردا خصبا لكثير من الادباء ؛ والعقاد صاحب التجديدات المبتكرة فى الشعر .قوتان متكافئتان اذا قلت أن للأول ذكرى أبى العلاء المثل الرائع فى

الاستقصاء والحجة القوية في مناهج البحث والاستقراء والأثر البليغ في دقة الملاحظة وقوة الشعور وابراز الفكرة واضحة جلية . وجدت للثاني ابن الرومي الذي يشهد بطول الباع في البحث العلمي وكثرة الاطلاع واتحاد المشاعر . واذا قلت أن الأول أغرى الشباب بكتابة القصة بهذا الأسلوب القصصي الرائع في فصوله الممتعة وكتبه القيمة وأنه أحدث حدثا في الأدب بكتابيه الايام والصيف وأنه يمشي بخطوات سريعة في سبيل اللحاق بالأدب الغربي والوصول بالأدب العربي الى درجات الكمال وجدت أن الثاني قد فتح في الشعر فتحا مبينا ونهض به نهضة لاسبيل لانكارها فبعد أن كنا لانعرف للشعر إلا وجوهاً خاصة منها المدح والذم والشكوى والأنين والتهنئة والرثاء عرفنا له على لسان العقاد وحياً آخر لا كما عهدناه عند العرب بل ما نلتمسه عند الغرب واليونان ، من أنواع هذا الوحي ماتعثر به في ديوانه من فلسفة عميقة ، وقصص ممتعة ، كما أن لكل منهما جيشه الجرار الذي يعجب به ويتذوق أدبه ، وحسبي هذه الالمامه الوجيزة كما أنني سأقف بالقارىء لتتذوق ثمار (شوقي) أسكنه الله فسيح جناته ونرشف رحيق القصص اللذيذة والصور الفكهة في دراستي (للمازني) وأملي أن يوفقني الله فاهتدي الى اعطاء القارىء فكرة قوية وصورة واضحة عمن سأتحدث عنهم

. . . .

اكبر الظن ان القارىء يوافقني على ان الادب العربي كان قبل أقطاب (المدرسة الحديثة) أدبا جافا و كان على دمامته وغثاثته خاليا من المتاع واللذة الا القليل النادر كرسالة الغفران و بعض الكتب وكان كل ما يتيه به هو ذلك السجع البغيض وأحسن مايفخر به هو ذلك الاسلوب الذي درج عليه القدماء فلم يتنحوا عن قاعدته وهذه المترادفات الثقيلة والتشبيهات الكثيرة المملة التي بلغ من حبهم لها ان استعبدتهم فلم يبيحوا لانفسهم التحرر من ربقة التقليد وفناء شخصيتهم في أسلوب الذين سبقوهم ، تقرأ هذا الكتاب مثلا فيدور بخلدك انه هو الذي تركته من قبل وتأخذ في دراسة أخر فيتبادر الى ذهنك وترجع بك الذاكرة الى كتاب قرأته من قبل وهذا لأن شخصية الكاتب الاول بل وفكرته واسلوبه هما محور الكتاب الثاني وعمدته . أضف الى ذلك أنك عبثا تحاول ان تجد كتابا في تحليل الشخصيات او ديوانا يجمع بين اللذة الشعرية والاسلوب القصصي اللهم الا اذا استثنينا كتابا وشعراء يعدون على الاصابع وليس هذا راجعا الى فقر الادب العربي — حاشا أنه يمتاز بوفرة انتاجه ولكنه أيضا بحاجه قصوى لمن يحذق طهيه و يقدمه للقاري فيستطيع هضمه كما صرح بذلك الاستاذ (عباس محمود العقاد) وليس الذنب ذنب الادب القديم فنحن لو رددناه الى عصور رجاله وأحوال امهم ودرسنا الحالة الاجتماعية والسياسية والدينية لوجدنا ان السابقين عبروا

احسن التعبير عن أرائهم وصوروا احسن التصوير بيئتهم ولكن اللوم على المقلدين الذين توهموا ان جريهم وراء الاساليب وتفننهم في المحاكاه مما يضمن لهم أحسن الاثر وأجمل الذكرى

ولعلنا لا نغالي اذا فاخرنا الامم العربية بان منا (سعداً) و (محمد عبده) والعقاد وطه وأحمد أمين والزيات والمازني وغيرهم من الذين ناضلوا وجاهدوا حتى بعث الادب العربي وحتى جاهر كثيرا من المستشرقين بان الادب العربي الحديث لن ينقصه ليتبوأ مكانه بين الآداب الرفيعة الا « القصة »

وأظن انه لا سبيل لانكار الجهود الجبارة التي قام بها من ذكرناهم فهذا يترجم للعربية روائع الغرب وغيره يبدع في كتابة القصة وثالث ينقل لنا أدب الاغريق وفلسفتهم ورابع يدرس الشاعر القديم ويقدمه للقارىء في شكل مغر واسلوب جذاب وغيره ... حتى نمت تلك الشجرة المباركة التي تعاون الكل على تعهدها ونعنى بها نهضتنا الادبية الحديثة وحتى اصبح لكل منهم مدرسته وحريدوه وتلاميذه وسنأخذ الآن في دراسة شخصية فذة من هؤلاء الذين ذكرناهم تكاد تنفرد وحدها بانها جمعت بين الشعر والنثر وأصابت في النقد والتأريخ ووقفت قواها على خدمة الادب والثقافة

صاحب هذه العبقرية الفريدة وهذا النبوغ الممتاز هو الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد ...